مادة لسانيّات النّص ونظريّة النّظم

قسم السّنة الثّانية ماستر (ل ع) / 2023-2024

المحاضرة الثّانية والثّالثة: بين النّصّ والخطاب

1/- مفهوم النّصّ:

أ)- لغة: باعتبار النّص صناعة أساسيّة يدور في فلكها متّجه العقل العربيّ لأنّ مداره لم يتجاوز سلطة النّصّ المقدّس؛ "إذْ لم يحظ من نصوص العربيّة بعناية الباحثين والعلماء ما حُظِيَ به القرآن الكريم"[1]، وهذا يعني أنّ اهتمام النّصّ شغل علماء العربيّة ودعوا إلى ضرورة تجاوز الدّراسة اللّسانيّة للجملة، حيث إنّ مفهوم النّصّ عند الدّراسات المعاصرة الّتي خَلُصَتْ إلى أنْ تَرْتَضِيَ للنّص علوما كعلم النّص ولسانيّات النّص ونحو النّص... ، لكنّها في مجملها تلتقي في فكرة تجاوز الجملة في التّحليل اللّسانيّ إلى فضاء أوسع وهذا الأخير يُعتبَر فتحا جديدا في اللّسانيّات الحديثة؛ "بوصفه التّحوّل الأساس الّذي حدث في السّنوات الأخيرة، لأنّه أخرج اللّسانيّات نهائيّا من مأزق الدّراسات البنويّة التّركيبيّة الّتي عجزت عن الرّبط بين مختلف أبعاد الظّاهرة اللّغويّة: البنيويّ، الدّلاليّ، التّداوليّ "[2]. والجدير بالإشارة هو أنّ اهتمام الدّراسات العربيّة والغربيّة بمصطلح النّصّ جعله يأخذ علميّة بذاته في اسم (علم النّصّ)؛ فأمّا كلمة (نصص) "... فرفعُك الشّيء، وكلّ ما ظهر فهو نصّ، فهو يدلّ على ارتفاع الشّيء، كما يُطلَق على الأمر إذا انكشف..."[3].

---

1 – محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص. ط1، ت: 2008، الدار العربية للعلوم، ص: 20.

2 – خولة الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات. الجزائر: 2000، دار القصبة للنشر، ص: 167.

3 – يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة نصص.

والنّصّ "من حيث اللّغة إنّما يشتمل مطلقَ الملفوظ والمكتوب، فكلّ عبارة مأثورة أو منشأة فهي نصّ"[1]؛ يُلاحَظُ ممّا سبق أنّ هذا التّعريف يعتبر مفهوما عامّا للنّصّ، وأمّا تخصيص مفهوم النّصّ فـ "هو الإسناد إلى الرّئيس الأكبر، والنّصّ: التّوقيف، والنّصّ التّعيين على شيء ما"[2]. والنّصّ "...وحية نصّنا أي كثيرة الحركة ونصص غريمه وناصَهُ: استقصى عليه وناقشه، وانتصب انقبض، وانتصب ارتفع؛ ونصنَصَهُ: حرَكَهُ وقلقلَهُ والبعير أُثبِتَتْ ركبتاه في الأرض وتحرّك للنّهوض"[3]. أمّا نظرة الأصوليّين فيكمن مفهوم النّصّ "من الشّيء والنّصّ: صيغة الكلام الأصليّة الّتي وردت من المؤلّف، والنّصّ ما لا يحتمل إلاّ معنى واحدا، أو لا يحتمل التّأويل منتهاه ومبلغ أقصاه. يُقال: بلغ الشّيء نصّه، وبلغنا من الأمر نصّه: شدّته"[4]، فالنّصّ بهذا المعنى ينحصر في بلوغ أقصى الشّيء وشدّته وذروته. وذهب (الزّمخشري) نفس المذهب وهو يعرّف النّصّ بالارتفاع والظّهور.

أمّا الغربيّون فقد قاربوا كلمة النّصّ بأصولها اللّاتيني Textus " وفي بعض اللّغات الأخرى الّتي يعود أصل كلمة نصّ فيها إلى النّسج والنّسيج"[5].
ولمفهوم النّصّ فوارق دلاليّة؛ إذ " لا شكّ أنّ معانيَ نصّ في القديم غيرها في الحديث، وعند غيرهم عند سواهم، وهذا أمر طبيعيّ تقتضيه التّغيّرات الزّمانيّة

---

1 – محمد عمارة، النص الإسلامي بين الاجتهاد والجمود والتاريخية. ط1، بيروت: 1998، ص: 33.

2 – نفس المرجع والصفحة.

3 – الفيروزآبادي، قاموس المحيط. ج1، بيروت:1997. مادة نص، دار إحياء التراث العربي، ص: 858.

4 – المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون. ط2. ج2، إسطنبول: 1989، دار الدعوة، ص: 929.

5 – Le grand Robert de la langue française . p: 272.

والمكانيّة الّتي تطرأ على معاني الألفاظ"، وعليه فالاختلاف والتّفاوت في معاني الألفاظ لا يقف فقط على الباحث، إنّما للزّمان والمكان دورٌ في ذلك[1].

ب)- **اصطلاحا:** من الطّبيعيّ أن يُعنى المصطلح باهتمام اللّسانيّين ولا سيما تركيزهم على جوانب النّصّ، كما أنّ البحث في اللّسانيّات النّصيّة هو البحث عن مكنون النّصّ من حيث هو وظيفة تواصليّة أو حجم تبنيه جملُه وفواصله. ولا أحد يختلف في أصل كلمة نصّ اللّاتيني: Textus، الّتي حرصت الدّراسات العربيّة على نقل هذا المفهوم من كلمة Texte بالفرنسيّة وTextile أي النّسج والنّسيج، ليُتَرجَم المفهوم الاصطلاحيّ إلى نسيج النّصّ، ومنه؛ ومصطلح نصّ من المصطلحات البارزة في لغة النّصّ، حيث تكمن في بيان قصد التّواصل بين المنتِج. وهناك ارتباطٌ بين الجانبيْن المقصديّ والجانب المعرفيّ، وهناك مؤشّرات لهذه الوظيفة النّصيّة الّتي يؤدّيها نصٌّ ما؛ وعليه يمكن للنّصّ أن يحدّد في" الوحدة الدّلاليّة"[2]؛ أي اعتبار المعنى أساسا في النّصّ وهذا ما لا يمكن حصوله على مستوى الدراسات اللّسانيّة المعاصرة الّتي لا تتّخذ بالضرورة المعنى كعمدة للنّصّ، لأنّ المنطلق في التحليل اللّسانيّ هو الشّكل قبل السّياق، رغمَ وجود محاولات Halidai هالداي ورقية حسن وتركيزهما على الجانب الوظيفيّ للّغة من خلال السّياق؛ ***يُنظَر الشكل:**

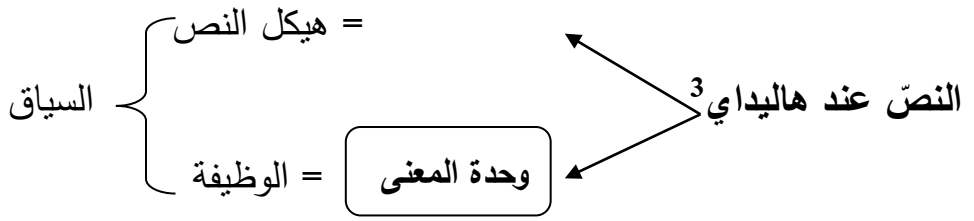

1 – خليل الموسى، النص لغة واصطلاحا. جريدة الأسبوع الأدبي، العدد: 823، ص: 20.

2 – الأزهر الزناد، نسيج النص، الملفوظ نص. ط1، بيروت، المركز الثقافي العربي، ص: 12.

3 – ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 12.

ومن الواضح أنّ مشروع (هاليداي ورقية حسن) يرتكز أساسا على مظـاهر اتّساق النّصوص (وسيأتي الحديث عنها في المحاضرات القادمة)؛ حيث إنّ النّصّ عندهما ليس وحدةً نحويّةً، كما لا يمكن تحديده بطول أو قصرٍ، فهو وحدة لغويّة في الاستعمال، وهو لا يتكـوّن مـن جمل بل يتحقّـق بها إذا اتّسقت، ومن خلال الثّنائيّة الّتي وضعاها (هاليداي ورقية حسن) يمكن التّمييز بين النّصّ واللّانصّ. ويمكنُ أن يُعرّف النّصّ بكونه علامة لغويّةً يتجلّى في الفعل التّواصليّ وهذا ما ذهب إليه بوجراند ودرسلر فيما بعد. والنّصّ " ترحالٌ للنّصوص وتداخلٌ نصيّ ضمن فضاء معيّنٍ تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى"[1]، بمعنى أنّ النّصّ تناص مصنوع من نصوص هو جزء منها.

ونسيج النّصّ مرتبط بالكتابة؛ إذ هو " نسيج كلمات منسّقة"[2]، وهذا اتّجاه (رولان بارت) في نظرته للنّصّ من الجانب الشّكليّ العامّ؛

نحو الشكل:

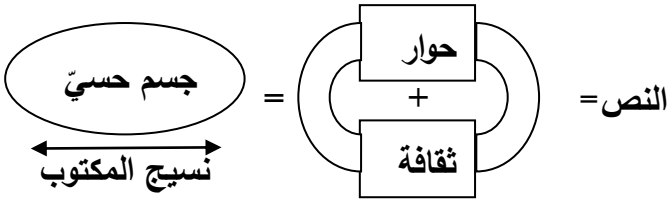

2/- مفهوم الخطاب: مِنَ الأفيدِ أن يتطرّق الطّالب إلى المفاهيم والمصطلحات الّتي تلتبس بموضوع الدّراسة والمتمثّل في (النّصّ)، فمعرفة الفوارق بين هاته

---

1 – جوليا كريستيفا، علم النصّ. ترجمة: فريد الزاهي، المغرب، دار توبقال للنشر، ص: 21.

2 – عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق: 1989، ص: 60.

المصطلحات هي الّتي تقود الطّالب والبحث عموما لفهم المصطلح وضبطه في شكله وسياقه الخاصّ.

أ)- الخطاب لغة: الخطاب[3]هو " ...المخاطبة، مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا. وهما يتخاطبان. الخطبة اسم للكلام، والخطبة مثل الرّسالة الّتي لها أوّل وآخر، والمخاطبة مفاعلة من الخطاب والمشاورة"، وعليه فالخطاب مرادف للكلام، أي أنّ الخطاب كلام عاديّ، أو مزخرف له أوّل وله آخر، ويتمُّ بين متخاطبين. وكذلك يعتبر (الفيروزآبادي) الخطاب كلاما.

وقمين منّي أن أنوّه في هذا السّياق إلى أنّ الخطاب "توجيه الكلام نحو الغير للإفهام"[1]، إذْ يميّز في تعريفه هذا للخطاب في كونه بين فعل توجيه الكلام، وبين الكلام ذاته؛ أي بين لحظة إنتاج الذّات للكلام الموجّه للآخر، وبين حدث الكلام، مع التّركيز في المعنيَيْن معا على ضرورة وجود طرفٍ آخر يحتاج إلى الفهم. فدور الخطاب يكمن في الإفهام مع وجود شريكيْن في التّواصل؛ نحو:

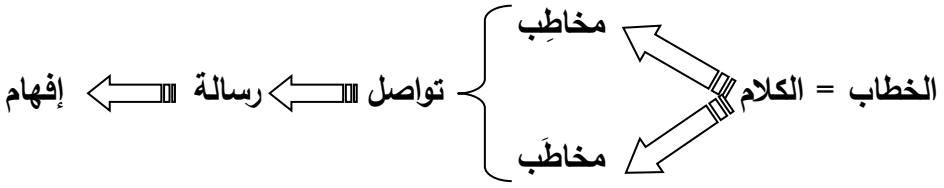

ب)- اصطلاحاً: أمّا في الاصطلاح، فمفهوم الخطاب تحدّده اتّجاهات مختلفة كجعله في المصطلح الّسرديّ؛ يَحْمل "معنيين منفصليْن في إطار نظريّة السّرد: الأوّل هو المستوى التّعبيريّ للرّواية لا مستوى المضمون، أي عمليّة السّرد لا موضوعه، والثّاني يتضمّن التّمييز بين الخطاب والقصّة". وبنفنيست

---

3 – ابن منظور، لسان العرب. ج4، مادة خطب، ص: 1194.

1 – التهانوي محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. تحقيق: علي دحدوح. بيروت: 1996، مكتبة لبنان، ص: 749.

Benveniste يستخدم الخطاب كونه "يوحي بين حالة أو حادثة"[2]، وهذا التّعريف يعني التّفرقة بين الواقعة والإخبار عنها، أو الإبلاغ عنها، كالفرق بين الملفوظ والتّلفّظ: l'énoncé et l'énonciation.

أمّا فوكو M Faucault فالخطاب عنده "مجموعة كبيرة من الأقوال، أو العبارات، ويعني بها مساحات لغوية يحكمها قواعد"[1]. ومما سبق ذكره في تعاريف كلّ من المصطلحيْن: نصّ وخطاب نستنتج أنّ سبب الالتباس في المفهوميْن يعود إلى الثّقافة الغربيّة الّتي تختلف عن ثقافتنا، ولا يمكن للتّرجمة أن تحمل معانيَ المصطلحيْن على حقيقتهما، غير أنّ مفهوم الخطاب يظلّ أقرب في الاستخدام في التّقليد الأنجلو أمريكيّ، بينما استخدام النّصّ نجده جليًّا في التّقليد الأوروبيّ.

ومن الفكَرِ الّتي هي لزامٌ على الطّالب الأخذ بها وفهمها أن نعتبِرَ كلّ نصّ خطابًا، وليس كلّ خطاب نصًّا.

ومن الباحثين من يساوي بين النّصّ والخطاب، فالنّصّ "رسالة من الكاتب إلى القارئ فهو خطاب الخطاب باعتباره مقول الكاتب هو بناء الأفكار يحمل وجهة نظر، فالخطاب من هذه الزّاوية إذا كلام يعبّر عن فكرة صاحبه فهو يعكس أيضا مدى قدرته على البناء"[2]. ويمكن للخطاب أن يحويَ نصوصا لأنّ

---

2 – يُنظر: جيرالد برنس، المصطلح السردي (معجم مصطلحات)، ترجمة: عابد خزندار، فلسطين: 2003، المجلس الأعلى للثقافة.

1 – ميشال فوكو، حفريات المعرفة، ترجمة: سالم يقوت. ط1، الدار البضاء: 1986، المركز الثقافي العربي، ص: 78.

2 – محمد عابد الجابري، تحليل الخطاب العربي المعاصر. ط1. بيروت: 1985، دار الطبعة، ص: 60.

3– روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء. ترجمة: تمام حسان. ط2، القاهرة: 2007، عالم الكتب، ص: 6.

"الخطاب مجموعةٌ من النّصوص ذات العلاقات المشتركة أي أنّه تتابع مترابطٌ من صور الاستعمال النّصيّ يمكن الرّجوع إليه في وقت لاحقٍ. وإذا كان عالم النّصّ هو الموازي المعرفيّ للمعلومات المنقولة والمنشّطة بعد الاختزان في الذّاكرة من خلال استعمال النّصّ، فإنّ عالم الخطاب جملةُ أحداثِ الخطاب ذات العلاقات المشتركة في جماعة لغويّة أو مجتمع ما"[3].